الفصل الأول

﴿ يَاأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (٥١) وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِي (٥٢) فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (٥٣) فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّى حِينٍ (٥٤) أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ (٥٥) نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ (٥٦) ﴾ [المؤمنون].

القسم الأول
العالم الإسلامي – أمة الإسلام

المسلمون في واقعهم اليوم أمتان من حيث المعاش والولادة والطاعة ؛ بعضهم في أرضه وعلى ما خلفه المسلمون الأوائل من فتح ودعوة ، وتحول الأرض إلى أرض إسلامية ، يمارس بها المسلم معتقداته بين أهله وعلى أرض الإسلام ؛ ومع هذا فإن الصورة ليست بهذا الوضوح فليس للإسلام دولة في الأرض تقيم أركانه وتدافع عنه ؛ إلاّ ما كان من بعض الملامح ، تزيد وتنقص من دولة إلى أخرى ، لكن المسلمين في هذه الأرض هم الأكثرية الساحقة من السكان تصل نسبتهم بين ١٠٠ % و ٥١ % .

وهذه الحال عرفت بالدول الإسلامية ويجمعها ما يعرف ببعض المصطلح بالعالم الإسلامي ، والمصطلح المفهوم لهذا التجمع هو المجموعة المعروفة بمنظمة المؤتمر الإسلامي ، وتجمع في تكوينها (٥٦) دولة وهي المنظمة الأكثر وضوحاً في مؤسساتها ولقاءاتها وتجمعاتها وقراراتها ، وهي رابطة تربط هذه الدول المنتسبة إليها ، ويعقد بعض المسؤولين مؤتمرات للتداول في بعض شؤون المسلمين، ويلتقي رؤساؤها كل سنتين بشكل دوري تقريباً . وليس لهذه المنظمة كبير تأثير في أحوال المسلمين المصيرية ؛ فهي كتجمع إقليمي ليس لقراراته قوة التنفيذ بالأسلوب الملزم المطلوب لتطبيق هذه القرارات ، وإنما التنفيذ يعود إلى قناعات الدول التي تطالها هذه القرارات . وهذه الدول الـ (٥٦) كلها أعضاء في هيئة الأمم المتحدة وكل دول الجامعة العربية الـ (٢٢) أعضاء في هذه المنظمة ، وكذلك أكثر أعضاء مؤتمر الكومنولث البريطاني.وجميع أعضائها الـ (٥٦) أعضاء في مؤتمر عدم الانحياز،وبعض هذه الدول أو أكثرها أعضاء في منظمة إقليمية أخرى لا ينطبق عليها اسم الإسلام أو له صلة فيه. جميع أعضاء هذه المنظمة دولها مستقلة ذات سيادة بالعرف الدولي في القرن العشرين،عندما جزئ العالم الإسلامي إلى نتف وأجزاء أكبرها لا يحمل مقومات دولة؛ولكن هناك أيضاً دولاً ينطبق عليها تعريف دول منظمة المؤتمر الإسلامي فسكانها المسلمون أكثرية فيها ، لكنها لم تتحرك للالتحاق بهذه المنظمة أكثرها من الجمهوريات الإسلامية التي كانت في محيط الاتحاد السوفيتي ، ونالت استقلالها عام ١٩٩٠م . وبادرت روسيا لتخطو على خطى بريطانيا بأن أنشأت كومنولث الدول التي كانت في المحيط السوفيتي حتى لا تتفلت سيادة روسيا لهذه الدول. ومنها إريتريا الدولة الإفريقية المطلة على البحر الأحمر والتي استقلت عن أثيوبيا

أيضاً في نفس هذه الفترة بعد ثورة قادها وضحى من أجلها العرب المسلمون وقطف ثمرتها النصارى فلم تدخل لا في الجامعة العربية ولا في منظمة المؤتمر الإسلامي .

الدول الإسلامية التي تتألف منها منظمة المؤتمر الإسلامي هي في الواقع تمتد من جنوب شرق آسيا من إندونيسيا (تيمور الشرقية) على المحيط الهادي إلى شواطئ آسيا الجنوبية على المحيط الهندي – باستثناء الهند والصين كدولتين تقطعان امتداد دول المسلمين في آسيا ولكنهما لا تقطعان امتداد المسلمين إذ أن المناطق الإسلامية في هاتين الدولتين قد اجتزأتا من امتداد المسلمين في العالم. ثم تتوغل الدول الإسلامية إلى أواسط آسيا وإلى غربها ثم شرق وشمال ووسط وغرب إفريقيا امتداداً على خطوط الطول ١٤١° شرق غرينتش ، إلى ١٨° غرب غرينتش في شواطئ موريتانيا والسنغال وتضم جميع شواطئ المحيط الهندي الشمالية والجنوبية والشرقية والغربية وشواطئ البحر الأحمر ، وشرق وجنوب شواطئ البحر الأبيض المتوسط ، وجزءا كبيرا من شواطئ المحيط الأطلسي المطلة على القارة الإفريقية ، وبالنسبة لخطوط العرض فإن دول العالم الإسلامي تمتد من جنوب خط الاستواء بخط ١٢ جنوباً من جزر القمر ومدغشقر إلى ٥٤ شمال خط الاستواء في ألبانيا والجمهوريات الإسلامية . قدرت مساحة العالم الإسلامي الذي ينطبق عليه الوصف السابق بحوالي ٣٢ مليون كيلومتر مربع ، وهي أكبر مساحة في العالم تضم شعباً متجانساً في العقيدة والدين الواحد . هذا ما يمكن أن نطلق عليه العالم الإسلامي وهو يحوي الأرض والشعب والماضي والحاضر ويقدر سكان هذا العالم من المسلمين دون الأقليات الكثيرة فيه بحوالي ١٠٠٠ مليون مسلم ، ففيه أقليات دينية نصارى ، يهود ، وهم من أهل الكتاب ، ووثنيون – بوذيون ؛ براهما من شعوب الصين والهند ، توتميون من سكان إفريقيا تصل هذه الأقليات إلى ما فوق المائة وخمسين مليوناً يعيشون جنباً إلى جنب مع المسلمين منذ أن وصل الإسلام إلى تلك المناطق فاعتنقه البعض وبقي على معتقده آخرون في أحداث سجلها التاريخ خلال حقبة طويلة .

في مسيرة الإسلام الطويلة من خروجه خارج حدود الجزيرة العربية في القرن السابع الميلادي إلى اليوم القرن الواحد والعشرين الميلادي ؛ سجل التاريخ أحداثاً وحروباً وفترات سلم ، وفترات حروب باردة ، والأهم من كل هذا سجل دخول الشعوب غير العربية بالإسلام على مدى قرون طويلة ، وتحول حمل هم الإسلام إلى تلك الشعوب التي حملته بكل أمانة وإخلاص ويقين ، حتى كادت تضحياتها المتواصلة تصل حداً من الاندفاع وازى العرب أو زاد عليهم في بعض المواقف ، وتقلبت على مدى أربعة عشر قرناً هجرياً أشكال ودول الإسلام في هذا العالم الواسع بين مد وجزر ، وتحت مسميات مختلفة ، لكنها لم تخرج حيزاً واسعاً عن مجرى أربعة أشكال من

الحكم عرف في التاريخ الإسلامي بمصطلح (الخلافة الإسلامية) التي كانت قوة الربط المتين للمسلمين في مختلف أصقاعهم وبلا لون وتحت أي نوع من مسميات القوى التي ظهرت في أزمنة مختلفة ونمت وكبرت نتيجة لظروف سادت في وقتها ، وبادت وانتهت بعد ذلك من خلال ظروف ألمت بها أيضاً . ولا بد من تعريف بسيط لمعنى الخلافة الإسلامية حتى يمكن أن نحدد في مجرى التاريخ الإسلامي هذا النوع من الحكم .

ولنبدأ بعرض موجز لحكومة النبي ﷺ :

بقي محمد ﷺ في مكة قبل الهجرة نحواً من ثلاث عشرة سنة ، يدعو إلى الدين القويم ، مستخفياً حيناً ، ومستعلناً أحياناً ، وقد صبر هو وأصحابه على ظلم قريش يأتمرون به ليقتلوه ، وإيذائها ما شاء الله لهم أن يصبروا ، ولما بلغه أن زعماء قريش يأتمرون به ليقتلوه ويطفئوا نور الله ، سأل ربه مخرجاً من أمره ، فأذن له بالهجرة فهاجر إلى يثرب ، وفي يثرب التي عرفت فيما بعد باسم " المدينة " نشأت الدولة الإسلامية فكانت هجرة النبي إليها حدثاً عظيماً جداً ، أدرك المسلمون قيمته وخطره فاتخذوه مبدأً لتاريخهم [1] .

كان للنبي في يثرب أتباع كثيرون بين أهلها عرفوا باسم " الأنصار " لأنهم نصروه كما عرف أصحاب النبي من أهل مكة باسم " المهاجرين " لأنهم هجروا دورهم وأموالهم وأسرهم وفروا بدينهم إلى يثرب .

كانت العشائر المقيمة في يثرب ،قبل هجرة النبي إليها في قتال شبه دائم ، وكانت تتلهف إلى زعيم يحمل إليها السلام والوئام . ولذلك كانت فرحتها عارمة حين علمت أن النبي قادم إليها [2].

و لم يمض على وصول النبي ﷺ إلى المدينة غير قليل ، حتى جمع زعماء المهاجرين والأنصار وآخى بينهم ، ثم جمع المسلمين ، والمشركين من العرب ، واليهود من سكان يثرب وكتب بينهم كتاباً ، هو بمثابة حلف أو عهد ، ولعلّه في لغة هذا العصر دستور ، بل أول دستور من نوعه عرفه العرب ، وبه نشأت السلطة العامة العليا،التي تولاها محمد ﷺ بإلحاح أهل المدينة وإجماعهم عليها [3] .

---

(١) اختار العالم المسيحي ميلاد المسيح عليه السلام مبدأً لتاريخهم ، وأما المسلمون فقد اتخذوا هجرة نبيهم ومنقذهم وباني أمجادهم مبدأً لتاريخهم الجديد ، مع أن التقاليد المألوفة عند الأمم الأخرى أن يؤرخ بولادة الزعيم أو وفاته أو ولايته . وكان فريق من العرب يؤرخون بعام الفيل وهو عام ميلاد الرسول الكريم ﷺ . وقد رأى فريق من المسلمين أن يفعلوا ذلك ، ولكن جمهورهم اجتمع على اضحرة " لأنها كما وصفها عمر بن الخطاب " فرق بين الحق والباطل (انظر: عبقرية الإسلام في أصول الحكم – الدكتور منير العجلاني – دار النفائس – بيروت ١٩٨٥ ط١) .

(٢) انظر كتابنا : " مدينة يثرب قبل الإسلام " الجزء الأول من كتابنا تاريخ الأنصار السياسي – دار البشير ١٩٩٣م – الجزء الأول .

(٣) انظر : عبقرية الإسلام في الحكم ـ منير العجلاني ٣٢ – ٣٤ .

وإن لنا لعودة واسعة جداً للتفصيل في هذا المضمار في الفصل الثاني من هذا الكتاب بعون الله تعالى .

كان موت النبي ﷺ صدمة هائلة للمسلمين ، أسلمتهم إلى شيء كثير من الخوف والشك حتى ظن بعضهم - وعلى رأسهم عمر بن الخطاب - أن النبي لم يمت ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران ، فغاب عن قومه أربعين ليلة ، وأنه سيعود فيقطع أيدي من ادعوا موته وأرجلهم. ولكن أبا بكر قال للناس : " من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت " وتلا عليهم هذه الآية : ﴿ **وَمَا مُحَمَّدٌ إِلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ (١٤٤)** ﴾ [آل عمران] .

فارتدت إلى الناس أحلامهم ، لم يستخلف النبي ﷺ أحداً و لم يذكر للناس ماذا يصنعون بعده ، أفيعودون كما كانوا في جاهليتهم الأولى شيعاً وقبائل ، أم يختارون بينهم أميراً تجتمع في ظله كلمتهم وتستمر ألفتهم . لقد هبطت الحكمة على قلوب المسلمين " فإن أول اجتماع عقدوه بعد وفاة النبي ﷺ وكان في (سقيفة بني ساعدة) قد وحد صفوفهم وجمع كلمتهم ، فاختاروا رجلاً منهم سلموه الرئاسة عليهم ، وجعلوه خليفة بينهم ومضوا وراءه قدماً في طريق الجهاد والمجد [1].

ومن أحكام السقيفة : إن الاجتماع التاريخي في السقيفة يبقى لنا :

أولاً : إنه ليس في الأحاديث الصحيحة المروية عن رسول الله ﷺ نص على خلافة رجل بعده. ولو وجد هذا النص لاتبع ، ولما استطاع أحد من المسلمين أن يخالفه .

ثانياً : إن النبي لم يخصص الخلافة في قبيلة ، أو أسرة ولو عرف شيء من ذلك لما أحجم أحد المجتمعين على الخلافة .

ثالثاً : إن المسلمين كانوا مجمعين على ضرورة الخلافة .

رابعاً : إن المسلمين نظروا في قضية الخلافة إلى المصلحة العامة وصوروا في تقرير أسسها عن اجتهادهم ، مستوحين المبادئ السامية العليا التي رسمها لهم النبي ﷺ .

خامساً : إن المسلمين في اجتماعهم الأول عرفوا لقريش عشيرة الرسول ﷺ فضلها وأن العرب لا تنقاد إلاّ إليها ، فقبلوا أن تكون الخلافة فيها ، لما رأوا في ذلك من المصلحة ، وقد اختاروا أبا بكر الذي رشحه عمر .

---

(١) انظر : عبقرية الإسلام في الحكم . مرجع سابق ص ٥٥ - ٥٦ .

وهكـذا نشـأت القاعـدة الأولى التي تمسـك بها أكثر فقهاء السنة وهـي " الخلافـة في قريش " .

سادساً : إن المسلمين خافوا على أنفسهم التفرقة ، فأجمعوا على أن يكون لهم خليفة واحد ، يكون رمزاً لوحدتهم .

سابعاً : إن المسلمين أدركوا أن بقاء منصب الرئاسة شاغراً مدة طويلة فيه تعطيـل لمصـالح المسلمين وتهيئة للفتنة ، ولذلك أسرعوا إلى بيعة أبي بكر ﷺ .

ثامناً : وتدلنا الأحاديث التي دارت بين الصحابة عند بيعة أبي بكر وبعدها على أنهم إنما بايعوه لسابقته في الإسلام وفضله وسنه ، وكان للسن شأنه الكبير .

تاسعاً: إن البيعة أخذت له من الحاضرين في المدينة ، عاصمة النبي ﷺ لأنه فيها جملة الصحابة ، أصحاب الرأي رضوان الله عليهم [1] .

الخلافة في اللغة :

الخلافة مصدر من خلف ، يقال : خلف زيدٌ عمراً ، أي قام مقامه وبقي بعده فهو خليفته .

أما ابن حزم فيقول : إن أبا بكر إنما سمي خليفة لأن محمداً ﷺ قد استخلفه أي جعله خليفة له، ولو كان هو الذي خلف محمداً لسَمّوهُ (خالفاً) من خلفه يخلفه فهو خالفه ولا يجوز في اللغة بزعم ابن حزم غير هذا .

وعندنا أن القول الأول هو الأصح ، وفي القاموس المحيط :

(الخليفة السلطان الأعظم ، ويؤنث ، كالخليف ، جمعـه خلائف وخلفاء وخلفة خلافـة ، كان خليفته وبقي بعده) .

الخلافة في الاصطلاح :

" الخلافة " هي منصب رئاسة الدولة الإسلامية . وقد عرفها الماوردي بأنها " خلافة عن النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا " .

والواقع أن الخليفة يجمع الصفتين الدينية والسياسية – أو الزمنية – فهو إمـام المسـلمين في صلاتهم وأميرهم في جهادهم ، ورئيسهم في إدارتهم وقضائهم ، وبالجملة صاحب الولاية العامـة عليهم . يجمع في شخصه كل السلطات ، ويفوض منها ما يشاء لمن يشاء ، ولا يـنقض هـذا الوصف أن المتأخرين من الخلفاء العباسيين أكرهوا بالقوة على التخلي عن كثير من سلطاتهم .

---

(١) انظر : عبقرية الإسلام في الحكم . مرجع سابق ص ٦٠ – ٦١ .

فالخلافة نظام إسلامي منفرد وتتضح خصائصه في البحث الموسع عن الخلافة في الفصل الثاني إن شاء الله [1] .

وعرف التاريخ الإسلامي :

١- الخلافة الراشدة فى المدينة المنورة والكوفة .

٢- الخلافة الأموية فى دمشق وفي الأندلس .

٣- الخلافة العباسية فى بغداد وسامراء والقاهرة .

٤- الخلافة العثمانية فى استنبول وهؤلاء كانوا حماة السنة والجماعة .

والخلافة الفاطمية في القاهرة وكانت على مذهب العبيدية الإسماعيلية . وقد دامت هذه الخلافات منفردات إلاّ ما كان من الخلافة الأموية الثانية في العصر العباسي ، والخلافة الفاطمية أيضاً في زمن امتداد الخلافة العباسية ، وانتهى وجود هاتين الخلافتين وعاد الانفراد بالخلافة للعباسيين .

بدأت الخلافة في المدينة : بالخليفة أبي بكر الصديق ﷺ عام ١١هـ الموافق ٦٣٢م وانتهت الخلافة كنظام إسلامي في استنبول عام ١٩٢٤م بزمن آخر الخلفاء العثمانيين مراد الخامس على يد مصطفى كمال أتاتورك . وهكذا مضى حتى اليوم ٧٦ سنة على سقوط الخلافة الإسلامية وتوزعت أحوال المسلمين إلى دول وأجزاء كثيرة .

هذا بالنسبة لموضوع شكل الحكم الذي عرفه المسلمون ، والخليفة رمز وحدة الأمة وأعلى سلطة زمنية للمسلمين ، ومع فترات الضعف التي رافقت كثيراً من الأوقات منصب الخلافة ، وبروز قوى أخرى بجانب الخليفة ، إلاّ أن هذا لم يمنع إطلاقاً إعطاء منصب الخلافة والخليفة - وحتى الضعيف من الخلفاء - الاحترام والانقياد والطاعة ، وكل حسب الوقت والزمان الذي عاشه، وكانت مدة الخلافة غير محددة وتنتهي بالموت عادة واستثناءً بالعزل ، والعزل كان نتيجة ضعف أو عدم توافق المنصب مع الذي يشغله - وأحياناً بالقتل - وليست الخلافة محددة بوقت محدد .

وتحولت الخلافة من الشورى إلى الوراثة واستمرت حتى نهايتها في عام ١٩٢٤م وبدأت ببداية الخلافة الأموية عام ٤٠هـ بعد تنازل الإمام المنتخب الحسن بن علي رضي الله عنهما الذي شغل

---

(١) انظر : عبقرية الإسلام في الحكم ، مرجع سابق ، ص ٦٢ وما بعد ، وانظر تفصيلاً كتاب : رئاسة الدولة في الفقه الإسلامي ، د. محمد رأفت عثمان - دار القلم - دبي ص ٦٩ فما بعد ، وانظر أيضاً : نظام الحكم في الإسلام في الشريعة والتاريخ الإسلامي " الحياة الدستورية " : ظافر القاسمي - دار النفائس - الطبعة الخامسة ١٩٨٥م .

المنصب لمدة ستة أشهر فقط وذلك لوحدة الأمة وتحقق بذلك قول الرسول ﷺ عندما نظر إلى الحسن وقال له وهو طفل : يجمع الله على يديك طائفتين من المسلمين – أو كما قال ﷺ .

والشرع والمبدأ .. والقانون .. والدستور ، أسماء يتداولها الناس اليوم لتشير ضرورة إلى مرجع مكتوب تفاهم عليه الناس ليكون الرباط بينهم ، وليكون الحكم الفصل في علاقة الناس ضمن حدود مجموعات محدودة متفاهمة ، متعادلة ، تشكل دولة أو جماعات ذات مسؤوليات تجاه بعضها البعض .

هذه المسميات أو هذه (الدساتير) إنما هي اجتهادات قابلة للتطبيق أو للتعديل ، أو للتغيير كليةً حسب الظروف والأحوال والتحديات التي تقابل هذه الشعوب أو المجموعات البشرية المرتبطة بها . والمصدر لهذه التشريعات إلهي أو بشري .. إن أمة الإسلام كغيرها من الأمم التي بعث الله بها نبوات ورسل ورسالات فإن تشريعها كان إلهياً من لدن حكيم عليم وقد بين الله تعالى في محكم آياته هذا التشريع في مواقع كثيرة .

قال تعالى : ﴿ **وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ** ﴾ [ص :٤]، ﴿ **قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ** ﴾[ص : ٦٥] وقال :﴿ **فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ** ﴾[البقرة : ٢١٣] ﴿ **وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ** ﴾ [الأنعام: ٤٨] ، [الكهف : ٥٦] . وقال جل من قائل : ﴿ **وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ** ﴾ [الأنعام : ١١٤] .

أما آيات سورة المائدة فإن بها الدليل الواضح على ما شرع الله تعالى لمن سبق من أهل الكتاب والمسلمين قال تعالى : ﴿ **يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ لا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنْ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنْ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدْ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدْ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٤١) سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٤٢) وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمْ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ (٤٣) إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلا تَخْشَوْا النَّاسَ وَاخْشَوْنِي وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمْ الْكَافِرُونَ (٤٤) وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ**

وَالأَنفَ بالأنف وَالأُذُنَ بالْأُذُن وَالسِّنَّ بالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ به فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَـهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٤٥) وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ (٤٦) وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٤٧) وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَـا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٤٨) وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ (٤٩)﴾ [المائدة] .

هذه شرعة الإسلام واتخذت تسميات منها شرع الله،سنة الإسلام،شرعة الإسلام . والمحدثون أضافوا إليها تسميات: دستور الإسلام،الفقه الإسلامي،وآيات الله تعالى وسنة رسوله المفسرة والموضحة لكلام الله تعالى مع أمور اتفق عليها المسلمون لا تخرج بحال عن أوامر الله تعالى وسنة نبيه،وما اجتهد في هذا علماء الإسلام. هو المبدأ والدستور،والقانون،والشرع الذي حكم مسار المسلمين متمثلاً في خليفة المسلمين الذي كانت مهامه الأولى والأخيرة تطبيق شرع الله ، والمحافظة عليه والذود عنه ،وتطبيق أحكامه وأوامره وحدوده،وما زالت الكثير من حكومات المسلمين تأخذ هذه الشرعة صافية أو ممزوجة باجتهادات القانونيين ، وتأثيرات الغرب الذي نصب نفسه معادياً لشرع الله وللإسلام ، كل هذه الحقبة من الزمن . وما زال هو العدو الأول والأخير الذي يحول بين المسلمين ودينهم . وقد أكد الله تعالى على المسلمين الأخذ بما أمرهم والانتهاء عما نهوا عنه .

وفي آيات لاحقات من سورة المائدة يبين الله تعالى سبلنا ويحذرنا من اتباع أهل الكتاب : النصارى واليهود ، أو الكفار الذين انحرفوا عن منهج الله تعالى في الماضي وهم اليوم أكثر ضلالاً وبعداً حتى عن ملتهم التي حرفوها ؛ وديانتهم التي استهانوا بها وابتعدوا عنها .

قال تعالى : ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٥٠) يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا - خطاب للمسلمين المؤمنين من دون الناس - لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥١)﴾ [المائدة] .

والحكم بالإسلام ما زال بنسب متفاوتة من النقص والكمال يطبق في حياة المسلمين إلاّ الذين اتخذوا اليهود والنصارى أولياء في فترة تجزئة عالم المسلمين – وتمزيق أمة الإسلام ، وما يزال شرع الإسلام الذي أراده الله تعالى للناس كافة أنزل بعضه قبل الإسلام واستكمله بعده ليكون للناس هداية ونوراً .

قال تعالى : ﴿ **لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنْ الغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انفصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٥٦) اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنْ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمْ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنْ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ(٢٥٧)** ﴾ [البقرة] .

والمسلمون اليوم على اختلاف مواقعهم ، واختلاف مذاهبهم واتجاهاتهم يعرفون تماماً أن البعد عن أحكام الله ظلم لهم وظلم لأنفسهم ، ويعتبرون أن حكم الإسلام واجب القيام واجب الأداء ، واجب الاتباع ، ويعتبر الخطاب الإسلامي ذروة الأخذ بالإسلام هو تطبيق شرع الله . ويشعر المسلمون جميعاً أنهم مقصرون في عدم الأخذ بأحكام الله . ويردون ذلك كله إلى الحكام الذين تحكموا برقابهم ، وأقاموا أحكاماً غير حكم الله ، وتنوعت انتماءاتهم وولاءاتهم والأخذ بغير ما أنزل الله تعالى من الهدى ودين الحق ، وليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون . وابتعد المسلمون في جميع أصقاع الأرض عن الأخذ كلية بشرع الله فأصابهم ما وعدهم الله تعالى بقوله :

﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ** (٥٤) ﴾ [آل عمران] .

ويدل سياق الآية السابقة على أن شرع الله قائم ؛ حمله المسلمون في زمان أو تركوه في زمان آخر ؛ فإن الله تعالى يستخلف قوماً يقيمون إوَدَهُ ويطبقون شريعته وهذا الدليل القاطع على استمرار أمة الإسلام لكونها خير أمة أخرجت للناس ، ولثبات شرع الله وعدم وصول أي تحريف أو تزوير أو زيادة أو نقصان فيما شرع الله تعالى لعباده . وأحداث التاريخ منذ أن بعث الله محمداً ﷺ ليكون خاتم الرسل ، وجامع الديانات السابقات ما صح منها ، وتناوب الشعوب المختلفة في حمل هم هذا الدين ونقله إلى من أودع الله فيهم سره ليقيموا أود هذا الدين وليطبقوا شرع الله في كل زمان ومكان .

وليس الذي نراه اليوم من تخلف المسلمين وتمزقهم وتشرذمهم وبث العداوة بينهم واتباع وموالاة أعدائهم ؛ ما هي إلاّ دلائل على أن نفس الإنسان وحتى الجماعات تقيم فطرة الله

تعالى في خلقه :﴿ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران : ٢٦] .

والمنظور الآخر الذي لابد من الإشارة إليه هو قوة أعداء الله تعالى ، وفوزهم وسلطانهم وتحكمهم في الدنيا وفي رقاب المسلمين خاصة ، ما هي إلا إرادة الله تعالى ليتخذ شهداء وليزداد الذين آمنوا إيماناً ، وتصل الخيرة إلى الذين يريدهم الله تعالى لأن يكونوا حملة دينه ، ومطبقي شريعته ومنهجه .

﴿لا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلادِ (١٩٦) مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (١٩٧) لَكِنْ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلأَبْرَارِ (١٩٨) ﴾ [آل عمران] .

وحتى من أعداء الله من يكون سبيلاً لنصرة هذا الدين ، ورفع لوائه ، والإيمان بما أنزل الله تعالى يهيئون الأجواء لعودة شرع الله ليحكم في خلق الله ، ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (١٩٩)﴾ [آل عمران] .

ويبقى الحمل الأشد ثقلاً على أيدي المؤمنين المسلمين الذين إن ضعفت بهم العزيمة يوماً فإن العودة إلى الله تقيم شرع الله ، ويقدم المؤمنون أنفسهم شهداء لله تعالى صابرين محتسبين رضوان الله .

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ(٢٠٠)﴾ [آل عمران] .

وهكذا فإن توقف حكم الله في الأرض مع سقوط الخلافة الإسلامية لا يعني إطلاقاً انتهاء هذا الدين ، وتوقف هذه الأمة ، وإلاّ فلمن تكون الخيرة بعد ذلك وقد ختم الله رسالاته للناس بمحمد ﷺ الذي كان على يديه بناء خير أمة أخرجت للناس ، وكان لأتباعه بعد ذلك المحافظة على خيرية هذه الأمة واستمراريتها .

ويبقى دعاء المسلمين المؤمنين مرتبطاً بذات الله جل وعلا كلما خبت بعض فوراتهم ؛ أو فترت بعض همهم ؛ يعودون إلى الله تعالى يرجون عونه ؛ وهو معهم أينما كانوا يحققون المعجزات في كل حين وآن .

﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ (١٩٣) رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ (١٩٤)﴾ [آل عمران] .

ومن هذا المنطلق وللخروج من هذه المداخلة التي لا بد منها لمعرفة من هم المسلمون اليوم نعود فنذكر ببعض القضايا المرتبطة اليوم بالإسلام وبهذه الأمة الخيرة .

الموقع :

أشرنا إلى موقع العالم الإسلامي الذي يعتبر جزءاً من أمة الإسلام وليس هو بالتأكيد أمة الإسلام ، وذلك بالنطاق الفلكي ، ولكن أمراً لا بد من ذكره هو أن العالم الإسلامي هو تحديداً موقع الحضارات القديمة كلها ، من الصين إلى الهند إلى فارس إلى أرض العرب إلى شمال أفريقيا وأواسطها ، ويدخل فيه أيضاً الجزء الأعظم من بلاد الروم البيزنطيين إلى أواسط آسيا . وهو كتلة مترابطة حتى مع الأرخبيل الإندونيسي الذي يعتبر الحد الشرقي للعالم الإسلامي وحتى شواطئ الأطلسي الغربية من أفريقيا ، من المغرب إلى ساحل العاج ولعل شواطئ المحيط الهندي مع كل تفرعاتها هي شواطئ بلاد المسلمين . والأهم من كل هذا فإن أرض الإسلام أو العالم الإسلامي مهد الديانات السماوية الثلاث اليهودية والنصرانية والإسلام . ومع الكثير مما طرأ على اليهودية والنصرانية من تحريف وتغيير وتزييف وتزوير ، فما زال أولئك يرتبطون بالنبوات التي نمت وترعرعت في قلب العالم الإسلامي . وجميع المرتبطين بهاتين الديانتين تهفو قلوبهم إلى عالم المسلمين؛ حيث يحوي هذا العالم كل معارفهم وآثارهم وماضيهم وتراثهم الأدبي والفكري والديني. وهذا ما شجع الصليبيين في القرون الوسطى أن يخوضوا حروباً أقل ما يقال فيها أنها تحريك الشوق إلى الشرق وإلى منبت عقائد النصارى ، فحاربوا من أجل ذلك رسمياً زهاء قرنين من الزمان من ١٠٩٨م – ١٢٩٣م وتبعهم اليهود الذين شُرِدوا في أصقاع الدنيا لأسباب ولفترة تزيد عن ثلاثة آلاف عام . عادوا مستغلين حقد الآخرين على الإسلام ؛ مضافاً لما عندهم من رصيد في هذا الشأن ليعودوا محاولين اقتطاع جزء يدعون أنه لهم من دون الناس ، حيث عاشوا فيه فترة من الزمن لم يتجاوز عمر جيل من البشر ، واستفادوا من الصراعات التي كان لبعضها فعل منهم ، فامتداد العالم الإسلامي بهذا الشكل يهيمن أدبياً ، عقائدياً وفكرياً على جميع المبتدعين والمبدعين من عالم الغرب ، الذي توجه بهذه المنعطفات التاريخية لإبقاء المسلمين دون ما أراد الله لهم من العزة والسؤدد والنصر .

لقد تم للغرب قبل الشرق اختراع آلات وأدوات ومصانع ومشروعات ؛ كان وقودهـــا إن لم يكن كله فحله كان في عالم المسلمين وهو البترول ، الذي سَخَّر للحصول عليه الغربيون أبنـــاء الإسلام ؛ واستخدموا كل الوسائل الأخلاقية واللا أخلاقية للحصول عليه ابتداءً وبأبخس الأثمـــان انتهاءً .

عالم المسلمين قدر له أن يكون المهيمن على جميع المنافذ في العالم القـــديم . وجميـــع طـــرق التجارة، وجميع المواقع الإستراتيجية ، وجميع القوى التي يمكن أن تغـــير أو تبـــدل في مجريـــات الأحداث مهما كانت ، فجاءها المبدعون في العالم في مجال الفتك والقتل حتى من العالم الجديد . ولا يعرفون – لا هم ولا نحن – لماذا هذا الحال الذي اتسم بالعداوة والقتل وإشباع رغبة الانتقام والقتل عند بني البشر .

يجاور المسلمين أكبر تجمعين بشريين في الدنيا هم الصينيون ، والهنود ، وقد اقتطع الإســـلام أجزاء كبيرة منهم وحولهم لاعتناقه وفيهما يعيش أكبر تجمع للمسلمين من غير عالم الإسلام ، كما يجاور المسلمين أوروبا النصرانية التي تحولت اليوم إلى تجمع ربما يقدر له أن يعاود ابـــتلاع عـــالم الإسلام مرة أخرى ، بعد أن تمكن من التوحد ونبذ العداوة والبغضاء التي فطروا عليها حتى اليوم فيما بينهم .

كما يجاور المسلمين أناسٌ قلدوا الغرب وآزروه في بعض المواقع ، وفاقوا عليه بمواقع أخرى، اليابان ، وكوريا ، وجنوب شرق آسيا . ولعل أكثر جوار خاسر حتى الآن هو مع روسيا الـــتي تقلبت خلال قرن واحد من إقطاع إلى الشيوعية إلى الديمقراطية – ولم تجد من يمكن أن يـــؤرق مضجعها – إن عاجلاً أو آجلاً – إلاّ المسلمين ، فشنت عليهم أعنت حرب إبادة في هذا القرن ، في البوسنة وكوسوفو والشيشان والجمهوريات الإسلامية الأخرى التي صبغت وجههـــا ويـــديها بدماء المسلمين في هذه البقاع أملاً بإرضاء كوامن الحقد عندهم ، وأيضاً للذين أخذوا بأيديهم إلى حياة الغرب المادي الحُر والبعد عن الشيوعية التي ظلت تتحكم بهم ثلاثة أرباع القرن العشـــرين تحديداً .

عالم المسلمين يرتاح على شواطئ البحار الدافئة اعتباراً من المحيط الهادي في غربـــه ومشـــرق العالم الإسلامي إلى جميع شواطئ المحيط الهندي إلى الشواطئ الشرقية من المحيط الأطلسي ، ويحتضن العالم الإسلامي شواطئ البحار المغلقة الأسود والخزر والأحمر وشرق وجنوب البحـــر الأبـــيض المتوسط وتبقى مجموعات مسلمة في هذا التجمع الذي يمكن من الانخراط في العالم مسببة أحداثه كلها من مشرقها إلى مغربها .

يقع عالم المسلمين في المناطق الاستوائية والمدارية والمعتدلة والباردة ، وتتنوع مناخاته ونباتاته وحيواناته ، وجميع ما يدب على الأرض ، وانعكس هذا على المسلمين فهم من البيض والسمر والصفر ودخل في الإسلام جميع شعوب الأرض تقريباً وأندرها في العرق الأشقر الذي يتركز في عالم النصارى أوروبا وأمريكا وروسيا . وهذا الموقع المتنوع لعالم المسلمين يجعل كل ما خلق الله تعالى من نِعَم مركزة فيه . ولو أن ميزة أخرى يعتبرها الكثيرون مواقع قحط وضنك ، وهي الصحاري ، ففي عالم المسلمين امتداد كبير جداً للصحاري من جنوب آسيا إلى غربها إلى أفريقيا كلها تقريباً وهي ما تعرف بالمنطقة المدارية . وتمتد الصحاري إلى مسافات شاسعة ولكنها كانت في الماضي ملجأ آمناً وبعداً إستراتيجياً للمسلمين إذا أصابهم ضنك أو عدو قاهر ، واليوم تفجر منها بحر البترول الذي يعتبر شريان حياة العالم بلا منازع ، وأيضاً أصبحت الصحاري هدفاً للرواد لاستصلاحها ولو أن المسلمين مع تخلف حالهم اليوم قد حولوا أرضهم الخصبة إلى صحارى وهاجمهم التصحر بشكل مرعب .

يجري في عالم المسلمين أطول أنهار العالم النيل والفرات ودجلة والنيجر والسنغال والسند وأنهار البنجاب وسيحون وجيحون ويمولون البحار بالمياه التي تجري في هذه الأنهار بعد قليل من الفائدة يستفيدون منها ، في وقت توجه الصراع في العالم إلى المياه وإلى الاستثمار بينابيع ومجاري ومصبات الأنهار ، وتفجر صراع بين المسلمين أنفسهم على هذه الأنهار التي تجري إلى البحار مشوقة بعقول وعيون المسلمين لها . وفي العالم الإسلامي بحيرات كبرى أو بحار صغيرة تصبو أنفسهم على شواطئه ، فمن الشواطئ الشرقية والجنوبية للبحر المتوسط ، إلى شواطئ كل البحر الأحمر ــ ولقد بدأت هجمة شرسة لإبعاد المسلمين عن هذه الشواطئ . ففرضوا إمبرائيل في الشمال وإريتريا ــ العربية المسلمة ــ في الجنوب وشواطئ البحر الأسود وبحر الخزر وبحيرات متناثرة هنا وهناك في آسيا وأفريقيا .

وهذا الموقع المتميز لعالم المسلمين يجعل الأنظار تتجه إليهم لإزاحتهم من كثير من مواقعهم أو تحويلهم إلى حراس أمناء على ثرواتهم وبحارهم وأنهارهم ، التي يملك كل مقدراتها أعداؤهم ، في ترتيب مجزء وعجيب ، لم ينل شره إلا المسلمون ــ أو من يمكن أن يكونوا كذلك في المستقبل أي في الامتداد الطبيعي للإسلام في كل من آسيا وأفريقيا وبعض المواقع في أوروبا.

يمتد العالم الإسلامي لمسافة ١٠,٣٠عشر ساعات ونصف لمسار الشمس في الأفق من شواطئ الهادي الغربية ــ إلى شواطئ الأطلسي الشرقية وبعدها يأتي أفق المحيطات ويمر على أمريكا في طريقه . العجيب فعلاً في هذا العصر أن خير أمة أخرجت للناس تباعد عن مصادر القوة والسكان

وتحولت وربما على أيدي أبنائها أولاً وأخيراً إلى توابع مضحكة من هياكل ودول وأشكال لا حول لها ولا سلطان ، ويظن أصحابها أنهم يحسنون صنعاً .

يجسم المسلمون على كنوز الدنيا المادية والمعنوية ، وبيدهم قضايا الفكر والمعتقد الذي يعتقد به أكثر من نصف سكان العالم ، ولكن الحروب وانتظار الحروب يبقى هاجس المسلمين في كل مكان ، وافتقد جند خير أمة أخرجت للناس مقومات الأمن ، فهم خائفون في النهار ، خائفون في الليل ، خائفون في مجرى حياتهم من المجهول ، هذا بالنسبة لمن يدبون بحرية فوق الأرض ، أما الذين فقدوا حريتهم فهم في عداد الأموات بلا شك .

مساحة العالم الإسلامي (والحديث عن ثلثي المسلمين فقط) وهم الذين يقطنون في أرض أغلب سكانها من المسلمين بأية هيكلية كانت مهما صغرت أو كبرت حوالي ٣٢ مليون كم٢ ، وهي أوسع مساحة يسكنها شعب متجانس ، ولكنها مزقت إلى ٦٤ دولة وهيكل ، دول لا تتجاوز الآلاف ، وأخرى تجاوزت مئات الملايين ، والأكثر بين خانة العشر ملايين إلى ما يقارب ثلاث أرباع المائة من المليون .

والعجيب أن البعد كبير بين الكبار وقريب بين الصغار ، فمثلاً دولتان مثل باكستان وبنغلادش فاقت كل واحدة المائة مليون يفصل بينهما دين آخر شبع عداوة وبغضاً عليهما من الهندوس ، بمسافة أكثر من ١٠٠٠كم . دولتان مثل مصر ونيجيريا حطت بينهما دولاً إسلامية من ذات الملايين المعدودة ، وهكذا . وأقيمت دولاً صغيرة في بحار ممتدة لا يسمع بها إلاّ أهلها مثل جزر القمر ، وجزر المالديف ، وغيرها الكثير ، هذه المساحة للعالم الإسلامي لا يوازيها إطلاقاً إلاّ عالم النصارى ولكن تفرق تواجد النصارى بين أوروبا وأمريكا وأستراليا ، واختلاف التجانس بينها يجعلها محدودة المساحة كالولايات المتحدة ٩,٩ مليون كم٢ ، روسيا ١٧ مليون كم٢ ، كندا ٩,٢ مليون كم٢ ، استراليا ٩,٧مليون كم٢ ، وكذلك الصين ٩,٥ مليون كم٢ ، والهند ، وهذه المساحات متباعدة غير متصلة ومن ثم غير متجانسة لا في المعتقدات ولا في الأجناس . وبهذا ينفرد عالم المسلمين بهذا الاتصال وهذا التناغم والتوافق في المعتقد من بين جميع شعوب العالم .

السكان :

المسلمون يشملون جميع شعوب العالم تقريباً ، وليس هناك جنس أو شعب ليس به مسلمون .

اختار الله تعالى العرب من الساميين لحمل رسالة الإسلام ، واختار لغتهم لتكون لغة القرآن الكريم ، قال تعالى: ﴿ **وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ** (١٠٣)﴾ [النحل] ويقول الله تعالى :﴿ **وَإِنَّهُ**

لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ (١٩٥) ﴾ [الشعراء] وقول الله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٢) ﴾ [1] [يوسف].

وأُنزل القرآن ببلاغة متناهية لم يصلها أحد ، وكان الرسول العربي ﷺ عربياً فصيحاً ، بليغاً ، مستوعباً اللغة التي أنزل بها القرآن ، عارفاً أصولها ولهجات قبائلها ، وحمل العرب هذه الرسالة كأصدق حَمَلَة ، وقدموها للعالم بعيدة عن التحريف والتزوير والاستئثار لأنفسهم ، وحتى لا يصبح حملة الرسالة مميزين بهذه الخصوصيات فقد بين الله تعالى أن المؤمنين ، المتقين ، المسلمين ، والتي كثرت هذه الصفات لهم في القرآن هم المميزون فقط ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ [الحجرات : ١٣] " لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى " من أقوال الرسول ﷺ . فكان الخير بصدق الإيمان، والأكثر تسليماً وتقوى . وبذلك فقد حمل الإسلام من غير العرب الكثيرون ، واليوم يعد العرب سدس المسلمين كافة ، والمسلمون من غير العرب هم الأكثر عدداً وانتشاراً واتساعاً ، فمنهم الترك والفرس والديلم والأفغان والهنود والبنغال وأجناس الهند المتعددة والملاوي والأفارقة والجنس الأبيض . وما من شعب من شعوب الدنيا إلا وحمل أهله أو بعض أهله الدين الإسلامي . متباهين بالتقوى ومتفاخرين بالدين القيم وبمدى تمسك هؤلاء بهذا الدين الحنيف . وليس لدينا إحصائيات محددة عن أكثر الشعوب اعتناقاً للإسلام ؛ لكن يمكن أن نقرب المفهوم إلى الأذهان فإن الملاوي ، وشعوب الهند ، والعرب ، والترك ، والفرس والسُّمر ، والعرق الأبيض يتنازل عدد المسلمين بينهم،ولكن لا يخفى بحال تزايد أو تكاثر بعض الشعوب على بعض .

ويملأ المسلمون أرض الإسلام وفي هذا المجال يشمل العدد جميع المسلمين المقيمين على أرضهم أو متناثرين بين شعوب العالم ككل .

وتختلف ألسنة المسلمين حسب انتماءاتهم وشعوبهم ، وحسب تطور حياتهم وتوزعهم ، وجميع المسلمين ينطقون بعض العربية أو كلها حسب تمكنهم من التزود بالعلوم الشرعية ، ولكن ليس هناك مسلم لا يحفظ الفاتحة إلاّ النادر القليل ، ويتعبد المسلمون في جميع أحوالهم وأشكالهم بقراءة القرآن بلغة العرب ، ولا يتعبد به إذا انتقلت معانيه إلى اللغات الأخرى ، ولو كانت لغات ولهجات المسلمين . فيبقى النص العربي هو المعتمد لدى جميع المسلمين للتلاوة والحفظ والتعبد [2].

---

(١) انظر : النحل ١٠٣ ، الرعد ٣٧ ، طه ١١٣ ، الزمر ٢٨ ، فصلت ٣ ، الشورى ٤٢ ، الزخرف ٤٣ ، الأحقاف ١٢.

(٢) انظر كتابنا : حاضر العالم الإسلامي ط٢ بحث لغات المسلمين .

ويتكلم المسلمون بجميع لغات العالم العريقة منها والحديثة فالعربية والتركية والفارسية والمالوية والسواحلية والأوردو والبوشتو والسند والبلوش والأفغان ولغات أفريقيا ويعتمدون الآن اللغات الأوروبية والإنكليزية والفرنسية والإيطالية والروسية والإسبانية والألمانية وغيرها وغيرها . وتبقى في لغات المسلمين نسبة من اللغة العربية بحد واسع ليفهم المسلمون دينهم من لغته التي أنزل فيها ، وبرع العديد في الماضي والحاضر من المسلمين من غير العرب إتقان العربية والإبداع فيها ، وحفظ الكثير الكثير من علومها المختلفة ، كالنقد والبلاغة والنحو والصرف والكلام والفقه ، والغريب والمتجانس والاشتقاق وغير ذلك مما يجعل اللغة العربية متلازمة مع الإسلام ، ولا يألُ جهداً الكثير من المسلمين الجدد في عالم الغرب حيث أخذ الإسلام يشق طريقه في تلك البقاع التي كانت حصوناً محصنة ضده ، تمكن بفضل الله تعالى أن يشق طريقه بثبات وثقة متوازٍ مع أعظم ما أنجزه البشر الذي حال آباؤهم وأجدادهم دون وصول الإسلام إليهم مبكراً ، فقد بدا أن كثيراً من المسلمين يتكلمون تلك اللغات ، وقد واكبت مؤسسات إسلامية أو حكومات على ترجمة معاني القرآن إلى تلك اللغات وقد بلغت ترجمات معاني القرآن الكريم للغات العالم نيف وسبعين ترجمة ، وبذلك فإن الكثير من المسلمين من أبناء تلك البقاع يتكلمون لغاتهم ولهجاتهم بجانب ما يتوجب عليهم من معرفة الحد الأدنى من اللغة العربية للتعبد وقراءة القرآن الكريم .

أهمية موقع العالم الإسلامي :

مما لا شك فيه أن ما أصاب المسلمين في هذا العصر من مختلف أعدائهم هو أهمية موقع العالم الإسلامي في هذه الدنيا . فعدا كونه أصبح أعظم مصدر للطاقة في العالم بلا منازع ، واحتواؤه على الكثير من المواد الأولية المعدنية والحياتية بالنسبة للإنسان ، فهو مصدر الفكر والخير والصلاح والإيمان ومهد الرسالات ، وهو المهيمن على طرق التجارة العالمية وإمدادات النفط ، وهو حسب هذا الموقع ؛ الصلة بين جنوب شرق آسيا وأوسطها والصين والهند وروسيا وأوروبا ، وهو المسيطر على المضائق الهامة في العالم ، وكان النزاع والطمع بخيراته سبباً مباشراً للكثير من الحروب التي قامت على أرضه أو في أراضي الآخرين ، ويأتي في المقابل وجود شواطئه على المحيطات الكبرى الدافئة في العالم فهو محطات التجارة البحرية والبرية ، ومحطات النقل الجوي . واكتسب أهمية الآن لوقوعه بين القوى العالمية الاقتصادية كاليابان ودول شرق وجنوب شرق آسيا والصين ، وروسيا وأوروبا وأفريقيا . وامتداد للعالم الجديد الذي ينظر إلى العالم الإسلامي كمصدر للطاقة ولليد العاملة وللخبرات ، وللتراث والتاريخ ، والثقافة ، على الرغم من التخلف البادي في جميع نواحي الحياة في العالم الإسلامي . كما أن هذا الموقع الهام جعل أطماع الفاتحين في الماضي والحاضر تتجه

إليه من الغزو المغولي ثم التتري ، ثم الصليبي ، فالاستعمار الغربي عموماً وأخيراً الأطماع الاقتصادية والاستراتيجية التي تتوجه إلى هذا العالم بحثاً عن المواد والطاقة وأسواق الاستهلاك ، وخاصة أن العالم الإسلامي أو المسلمين عموماً في العالم يعادلون ربع سكان العالم بلا منازع .

إن وجود الجزء الكبير من العالم الإسلامي لقارة أفريقيا ، وكذلك لآسيا رغم وجود التجمعات البشرية العملاقة في آسيا كالصين والهند ؛ فإن أكثر المسلمين يتركزون في آسيا ويحتلون أكبر مساحة في أفريقيا . وقليل في أوروبا [1] ، وذلك ضمن الدول التي يزيد عدد المسلمين فيها عن النصف . ففي بعض الدول يحقق المسلمون النسبة المطلوبة لتدخل في تعداد الدول الإسلامية ، ولكن يحكمها نصارى أو ملحدون . مع هذا فإن غالبية السكان من المسلمين (سواء المغلوبون على أمرهم ، أو الذين يحكمون بأحكام عسكرية أو قهرية فإن إدراجهم ضمن العالم الإسلامي هو منطق الواقع ، وقبل الانتقال إلى موضوع آخر فإننا نشير إلى أن ما قلناه عن العالم الإسلامي إنما إشارة إلى الدول التي قلنا أن أكثرية سكانها من المسلمين ، أو أن المسلمين هم الأكثرية بين القوميات أو الجنسيات أو الديانات الأخرى مثل البوسنة والهرسك ، فإن ٤٠ % من السكان مسلمون ومن ثم ٣٥ % من الصرب (مسيحيين أرثوذكس) وكروات (مسيحيين كاثوليك) ونسبتهم حوالي ٢٥ % فتعتبر هذه الدولة ضمن العالم الإسلامي ، ولبنان مثلاً آخر فالمسلمون فيها حوالي ٥٥ % من مجموع السكان ولكن انعكست الآية فوجدوا المسيحيين فيها وجزؤوا المسلمين فارتفعت نسب المارونيين إلى حد يحصل به رئيس الدولة على منصبه فيهم .

لكن سكان العالم الإسلامي لا يعنون تماماً لفظ (أمة الإسلام) فالأمة الإسلامية هي تعداد وجمع المسلمين في جميع أقطار الأرض . فلا يوجد في الأرض دولة أو تجمع بشرى ليس فيه من المسلمين وقد جرت إحصائيات تقريبية لعدد المسلمين في كل دولة من الدول ، ولكن تبقى هذه الإحصائيات دون مراتب الحق ، إذ يدخل بها الكثير من الاعتبارات السياسية والعقائدية والدينية . فمثلاً يزيد عدد المسلمين في الصين عن ١٥٠ مليون أي يشكلون أكثر من ١٢ % من مجموع السكان – إذ أن هناك مواقع كثيرة من أصل الصين أو ضمت للصين سكانها من المسلمين – كما كان الحال في الإتحاد السوفيتي – حتى عام ١٩٩٠م عند استقلال الجمهوريات الإسلامية ؛ عندما تفكك الاتحاد السوفيتي . فهناك مقاطعات وجمهوريات كاملة إسلامية ، كما بقي ذلك قائماً في

---

(١) مساحة العالم الإسلامي في أفريقيا ١٧,٨ مليون كم٢ والمسلمون في أفريقيا ٤١٧ مليون نسمة ومساحة العالم الإسلامي في آسيا ١٤,١ مليون كم٢ والمسلمون في آسيا ٧١٥ مليون حسب تعداد وإحصائيات ١٩٩٠ ومساحة العالم الإسلامي في أوروبا ٥٣,٠٠٠ كم٢ والمسلمون فيها أي البلاد الإسلامية دون الجاليات الإسلامية المنتشرة في أوروبا ١٠ مليون نسمة تقريباً ، انظر : تفصيلات أكثر في كتابنا حاضر العالم الإسلامي ط٢ ١٩٩٧ ص ١٧ فما بعد .

روسيا ذاتها التي ورثت الاتحاد السوفيتي . ويتجاوز عدد المسلمين الذين يحسبون في عداد الأقليات في العالم بحوالي ثلث المسلمين في العالم ، وسيكون لنا تفصيل في ذكرهم في الموقع والقسم المخصص لذلك ، ولكن لا ننسى أبداً أن حال المسلمين يتغير من مناطق نال بها المسلمون حقوقهم، ومناطق يعتبرون أقليات واجب اضطهادها ، وليس لها ما لغيرها من الأقليات من حقوق. أكبر تعداد للمسلمين في الصين وبعدها الهند وبعدها روسيا ، ثم أوروبا مجتمعة ، فأفريقيا غير الإسلامية ، العالم الجديد أمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية .

إن المسلمين في العالم الإسلامي (المحدد جغرافياً) [1] مع المسلمين المنتشرين في جميع أصقاع المعمورة يشكلون أمة الإسلام مع ملاحظة ما يلي :

١ – إن الخارطة السياسية لمنطقة العالم الإسلامي تعتبر الآن من أعجب الخرائط لكثرة الوحدات السياسية فيها ، ولوجود كيانات وحدود صغيرة جداً إلى درجة من الصغر متناهية ، بجانب وحدات كبيرة لها مقوماتها لكنها لا يمكن أن تعيش بمنأى عن جيرانها وعن الذين سلخت أو سُلخوا عنها .

٢ – يشعر المسلمون في جميع أصقاع الأرض التي يعيشون عليها بأنهم وحدة متكاملة تربط بينهم روابط الأخوة والإيمان والإسلام . وتجمعهم كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله وكتاب الله تعالى " القرآن العظيم " الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وبالشعور الفياض بالانتماء للإسلام بين الناس .

٣ – العالم الإسلامي بمجموعة الدول التي يغلب على سكانها المسلمون ، ولا يعني إهمال المسلمين الآخرين الذين يعيشون أقليات متناثرة في مختلف أنحاء العالم ويصل بعضهم إلى مئات الملايين والبعض الآخر إلى عشرات الأشخاص ، ولا يغيب عن هؤلاء أنهم جزء من عالم المسلمين أيضاً ؛ تربطهم وتشدهم تلك العقيدة إلى هذا الدين وإلى أخوتهم في الإسلام .

٤ – ما من شك أن المسلمين ليسوا كلهم سواء ، وليسوا على عقيدة واحدة ، ولكن من فضل الله أن الذين انحرفوا عن خط السنة والجماعة قلة قليلة لا تذكر نسبتهم إذا قيسوا بالمسلمين كافة .

---

(١) يبدأ العالم الإسلامي حده الشرقي من خط الطول ١٤١,٧٠ شرق غرينتش عند جزر تيمور في إندونيسيا ويمتد إلى خط ١٧,٤٠ غرب غرينتش أي يشغل حوالي ١٥٨,٤٧ من خطوط الطول البالغة ٣٦٠ . أما بالنسبة لخطوط العرض أو دوائر العرض فيبدأ العالم الإسلامي من ١٢ جنوب خط الاستواء من دولة جزر القمر إلى ٥٢,٣٢ شمال خط الاستواء في شمال جمهورية ألبانيا ويشغل العالم الإسلامي ما مقداره ٦٤,٣٢ عرض من أصل ١٨٠ من القطب الشمالي إلى القطب الجنوبي . انظر كتابنا – حاضر العالم الإسلامي ط٢ ص ١٨ – ١٩ .

لكن عوامل التجزئة التي تركزت حولهم حولت هذه القلة إلى حكام في بعض أصقاع العالم الإسلامي . وكان لهم دور بارز في نقل أفكار الغرب أو الشرق إلى العالم الإسلامي وتشويه صورة العقيدة الإسلامية .

٥- كما أن العالم الإسلامي يحوي في أرضه وبين سكانه الكثير من أبناء الديانات الأخرى ، أو أتباع العقائد الوثنية ، أو بعض الهرطقات ، أو الملاحدة ويتعايش هؤلاء بين المسلمين ، ولهم بعض التوجهات التي لا تتوافق مع أفكار المسلمين .

ويعتبرون حكاماً في بعض المناطق -رغم أنهم أقليات - وذلك نتيجة التجزئة والتأييد الذي يلقونه من أعداء الإسلام [١] .

---

(١) انظر : حاضر العالم الإسلامي - ياسين غضبان ص ١٣ دار البشير ط١ ١٩٩٧م .